

كان الملك فيصل قليل الكلام، لكنه إذا كلم ففي كلماته القليلة ما يوزن بالذهب أو بالألماس..

وكان نموذجاً للهدوء والصفاء والأصالة..

لقد وهبه الله حسن الإدراك ونبيل الشعور وبعد النظر ..

وقد علمته الحياة الكثير .. تعلم من السياسة الصدق وهذا شيء نادر .. وأن يكون قوياً مستقيماً .. وهذا أكثر ندرة.

## الملك فيصل

أوائل 1973 اصطحبت معي القذافي كطلبة في طريقى إلى السعودية لأداء العمرة قبل حضور المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى لاهور بباكستان.. وذهبنا إلى الرياض وقابلنا الملك الفيصل..

وكعهدى بالملك فيصل هو رجل صديق صدوق ومثل أعلى للحكمة العربية فى أجلى معانيها .. واستمرت جلستنا مع الملك فيصل حوالى ثلاثة أرباع الساعة.

والملك فيصل يمتاز بذاكرة قوية جداً .. ولديه مقدرة هائلة على سرد التفاصيل بالتواريخ والأماكن .. ووصف الهيئة التى كان عليها الناس الذين يتحدث إليهم.. فعنده هذه الفراسة البدوية.

فهو يقول لك مثلاً عندما يروى لك واقعة أو حديثاً جرى من ثلاثين أو أربعين سنة.. فلان كان يجلس رابع واحد على الشمال.. وكان يرتدى كذا وكذا .. وكان من رأى على علوبة باشا كذا .. ورأى محمود فهمى النقراشى باشا كذا .. ورددت عليه بالحروف الواحد كيت وكيت..!.

فالجوس مع الملك فيصل .. جلوس مع رجل بدأ حياته السياسية هو فى الثالثة عشرة من عمره .. فقد دفعه أبوه إلى الحياة السياسية الدولية فى سن مبكرة جداً .. وتعلم من السياسة الصدق وهذا شئ نادر ..

وفى الثلاثة أرباع الساعة مع الملك فيصل .. أستمع القذافي إلى عرض للقضية الفلسطينية لم يسمع له نظيراً فى حياته .. لأن الملك فيصل عبارة عن موسوعة متنقلة وشاملة لكل التفاصيل الدقيقة .. وهو يتحدث من واقع تجربته الشخصية .. فكل الذى قاله وحكاه ورواه كان هو طرفاً فيه .. أى أنه اشترك فى تسجيل التاريخ كما شارك فى صنعه ..

ولكن بين الحقائق والتاريخ التى قالها الملك فيصل لأول مرة .. أن الإنجليز قد عرضوا على الفلسطينيين فى يوم من الأيام أن يوافقوا على هجرة خمسين ألف يهودى فقط .. فإذا وافقوا على ذلك قام الإنجليز بتسليم فلسطين للإدارة الفلسطينية ..

ولكن الفلسطينيين فى ذلك الوقت قالوا لا .. ومن ورائهم العرب الذين لا يعرفون فى الحياة السياسية غير هذه الكلمة .. وبذلك يعقدون المشكلة بدلاً من حلها .. أو لعلم لا يريدون الحل ..

ولو وافق الفلسطينيون على هذا الاقتراح لوفروا على الأمة العربية متاعب كثيرة وهموماً ودماءً ومصائب ورجالاً .. فخمسون ألفاً وسط هذه الملايين لا تخف فممكن احتواؤهم و لا يمكن أن يشكلوا أى ضرر

وهكذا كان الملك فيصل رحمه الله .. بجانب أنه رجل تاريخ .. واشترك فى تسجيل التاريخ العربى كان أيضاً له نظرة موضوعية ويستطيع أن يرى المستقبل .. وللأسف الشديد لم يفهم معمر القذافي الدرس ..

وكانت علاقتى بالملك فيصل رحمة الله علاقة حسب واحترام .. ثم أن تجربتى الطويلة مع الملك فيصل تؤكد حقيقة واضحة .. وهى أن ما يقوله هذا الرجل ينفذه .. فالكلمة الواحدة منه قانون لا يقبل الجدل ..

وكان مثلاً أعلى في العلاقات السليمة والرجل العظام .. حتى أيام حرب اليمن وكان هناك خلاف أساسي بين الدولتين.. فإن صلتى بالملك فيصل لم تنقطع .. وبذلك كانت علاقتى الوطيدة به علاقة أخوة وصداقة حتى رحل في مارس 1975..

والملك فيصل مواقف كثيرة تدل على أصالته وفروسيته .. ولا يمكنك معها إلا أن تحترمه وتحبه..

ففي مؤتمر الخرطوم الذى انعقد فى صيف 1967 .. التقى جمال عبد الناصر بالملك فيصل الذى كان متهماً فى ذلك الوقت بأنه قمة الرجعية.

ولم يكن لفصل شماتة فى مصر ولا فرحة بهزيمة جمال عبد الناصر .. وإنما كان هناك موقف أندھش له جمال عبد الناصر نفسه .. فقد قررت السعودية والكويت وليبيا دعم مصر بما يوازى دخل قناة السويس.

ولم يكن جمال عبد الناصر يتصور أن يكون الدعم أكثر من خمسة ملايين أو عشرة ملايين على أكثر تقدير.. وكان هذا هو رأى أمير الكويت فى ذلك الوقت المرحوم عبد الله السالم الذى حاول أن يقنع فيصل به .. ولكن فوجئ الجميع وخصوصاً عبد الناصر الذى كان مهزوماً .. بالملك فيصل يعلن فى الاجتماع أن السعودية ستدفع خمسين مليوناً من الجنيهات.. وطلب من الكويت أن تدفع 55 مليوناً..!

وكانت قد بدأت صداقتى الشخصية بالملك فيصل منذ أن زرت الرياض بشأن المؤتمر الإسلامى الأول فى سنة 1955 وكان وقتها ولى العهد وكانت السعودية ومصر وباكستان هى الدول المؤسسة لهذا المؤتمر.

وبرغم حرب اليمن ظللنا أصدقاء لأن معنى الصداقة عنده وعندى واحد..

وحين ذهبت إلى المغرب عام 1969 نيابة عن عبد الناصر لأحضر أول مؤتمر إسلامى يعقد من أجل حرق المسجد الأقصى .. وقد عرف عنى أثناء المؤتمر أنى واضح وصريح ولا أنحاز إلا للحق. بعكس مما كان يخشى الملك الحسن ملك المغرب وخشيته من موقف مصر.

والملك فيصل قليل الكلام لكنه إذا تكلم ففي كلماته القليلة ما يوزن بالذهب أو بالألماس .. والذى يعرف الملك فيصل كما أعرفه يجد أن هذا الرجل قد علمته الحياة الكثير .. وعلمته تجارب السياسة ومخالطة الشخصيات العالمية أن يكون صبوراً وحليماً وأن يجد لكل إنسان عذراً..

ولعله قد اهتدى إلى ذلك كله عندما جلس فى مواجهة جمال عبد الناصر فى السودان .. فهو إمام زعيم عربى عملاق ولكنه جريح جرحاً عميقاً.. وأما أفسى أعدائه وأعنفهم .. ولكن الموقف يقتضى أن تمتد الأيدي وتأخذ بيد القائد المجروح.

وتلك صفات الرجل العربى الأصيل وكان الملك فيصل هو هذا الطراز من الرجال الذى لا تملك إلا أن تحترمه وتحبه..

وكما وقف الملك فيصل مع جمال عبد الناصر فى المواقف التى تعرضت لها مع السوفييت..

فى عام 1971 كانت مشاكلى مع الاتحاد السوفييتى قد تعاضمت وتعمقت.. فى هذه السنة صفيت مراكز القوى .. ثم كان موقفنا من ثورة السودان.. كل واحدة منهما معركة كاملة مع القادة السوفييت الذين شعروا أن النظام فى مصر لم يعد تابعاً لهم.. وكانت كل تصرفاتهم تدل على العداء المستتر.. وكانت النتيجة التى وصلت إليها اليأس التام من الاتحاد السوفييتى ومن قاداته..

واتصلت بالملك فيصل وقلت له.. أنت عندك قاذفات مقاتلة اسمها لا يتننج (Lightning) ؟. قال بروحه الأخوية: نعم عندى..

وكانت مشكلتى دائماً مع الروس هى أن جميع طائراتنا ذات مدى محدود. أما الطائرات الغربية ومنها هذه الطائرة الإنجليزية طويلة المدى.. فكان الاتحاد السوفييتى دائماً يريدنا أن نكون أرجلنا معلقة فى الهواء ولا نأخذ سلاحاً يحسم المعركة أبداً..

فلما اتصلت بالملك فيصل وقلت له أننى أريد هذه الطائرات.. قال : على الرحب والسعة سوف أبعث إليه بعشرين طائرة منها.

وكان هذا الطراز من الطائرات البريطانية الصنع قديماً ومتخلفاً ومستعملة في السعودية والكويت .. ثم توقف الإنجليز عن صنعها لأنها شديدة التعقيد وباهظة التكاليف.. وأصبح الإنجليز أنفسهم يكتفون بطائرات الفانتوم الأمريكية.

كنا في ذلك الوقت في عام 1971 .. وهى السنة التى زرت فيها الاتحاد السوفييتى مرتين.. الأولى فى مارس والثانية فى أكتوبر بعد أن توترت العلاقات بينى وبين الاتحاد السوفييتى توتراً شديداً نتيجة لأمرين.. الأول تصفيتى لمراكز القوى فى مايو من نفس العام.. والثانى تأييدى لنميرى ضد الثورة الشيوعية التى قامت فى السودان فى يولية 71 .. وفشلت بعد ذلك.. إذا طلب منى الاتحاد السوفييتى الاعتراف بالحكومة الجديدة التى يرأسها هاشم العطا .. فرفضت.. بل قلت للسفير السوفييتى أننى لن أسمح أن يقوم نظام ماركسى على حدودى..

وقد حضر إلى القاهرة يانا مارييف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى وطلب منى بعد فشل الثورة أن أتوسط شخصياً لوقف إعدام رجل كان لهم فى حزب العمل السودانى وكان يعتبر من أكبر الشخصيات المرتبطة بهم واسمه شفيق.. واتصلت بالرئيس نميرى تليفونياً وبجانبى يانا مارييف .. ورد على قائلاً " كان يمكن ذلك لو كنت كلمنتى قبل ذلك بيوم .. ولكن المحكمة حكمت عليه بالإعدام.. واعدم فعلاً... "

وقد حقد على السوفييت لموقفى من ثورة يوليو بالسودان وتوترت العلاقات توتراً شديداً.. ولجأوا إلى أسلوبهم المعروف وهو وقف إمداد السلاح بل أكثر من ذلك أوقفوا إمدادى بقطع الغيار للأسلحة الموجودة لدينا.. هذا طبقاً بجانب استمرار رفضهم إعطاءنا طائرات طويلة المدى..

وبعد أخذ ورد ومعاناة وافق القادة السوفيت على أن أسافر إلى الاتحاد السوفييتى يوم 11 أكتوبر.. وكنت قد طلبت قبل ذلك طائرات اللايتننج من الملك فيصل كما قلت برغم أنها نوع مختلف وأنها أيضاً معقدة الصيانة لدرجة أن الإنجليز أنفسهم قد اشتكوا منها لكن الميزة الوحيدة أنها طويلة المدى.. ولم نكتب هذا الاتفاق كعادتنا.. وإنما مع الملك فيصل كانت الكلمة تكفى.

وفى يوم 10 أكتوبر أى قبل سفرى بيوم واحد.. فوجئت ببرقية من الملك فيصل يخبرنى فيها أن السعودية قد قررت أن تزودنا بالعشرين طائرة من طراز لايتننج فوراً..

ولما تلقيت هذه البرقية ضحكت .. لأن معاونى الذين كانوا معى لم يفهموا مغزى هذه البرقية.. فقد كانوا يعلمون منذ مدة أننا كنا متفقين على العشرين طائرة.. فلماذا أرسل فيصل هذه البرقية الآن..؟.

فقلت لهم.. وأن هذه البرقية تدل على أن الملك فيصل سياسى فى غاية الدهاء والحنكة السياسية مضافاً إليها الأصالة والقيم .. فهو قد أراد أن يثد أزرى فى مواجهة السوفييت .. يريدنى أن أعلن رسمياً أننى سأحصل من السعودية على 20 طائرة.. وقد كان..

وعندما أخبرت السوفييت بذلك جن جنونهم.. ونزل هذا الخبر على الزعماء الثلاثة بودجورنى وبريجنيف وكوسيجين كالصاعقة.. وبالذات بريجنيف ظهر وكان حية قد لدغته.. وقالوا كيف تقبل طائرات من السعودية بالذات.. والسعودية تعنى ما تعنى بالنسبة للسوفييت..!؟.

فقلت لبريجنيف: لقد بح صوتى من كثرة ما طلبت منكم طائرات طويل المدى.. أنا وعبد الناصر من قبلى.. بدون نتيجة وقلنا لكم نحن لا نريد هذه الطائرات للغزو.. وإنما ليكون عندنا سلاح للردع نرد به على إسرائيل إذا ضربت فى العمق.. فإذا جاءت السعودية وعرضت هذه الطائرات علينا فهل نرفضها..!؟.

وكان فيصل عند كلمته ووعده بأحسن مما وعد فقد اشترى لمصر 36 طائرة ميراج من أحدث طراز.. وكانت بالطبع أحسن وأقوى وأروع من تلك الطائرات العتيقة!.

وكان هذا الرجل هو حكمة التاريخ.. كان نموذجاً للهدوء والصفاء والأصالة.. لقد وهبه الله حسن الإدراك.. ونبيل الشعور.. وبعد النظر.

وقبل حرب أكتوبر بوقت قصير.. وبالتحديد فى أغسطس 1973 اجتمع أول مجلس أعلى للقوات المسلحة المشتركة المصرية والسورية فى مدينة الإسكندرية للأعداد والتنسيق والتجهيز للمعركة التى تحدد لها شهر أكتوبر بعد الزيارة السرية التى قام بها حافظ الأسد لى فى برع العرب.

ولكن وجد المشير أحمد إسماعيل الله يرحمه من أن السوريين يتراجعون ويتعللون بأنهم لم يستوعبوا الأسلحة الجديدة على الرغم من أن هذه الأسلحة كانت عندهم من أكثر من سنة.. وتدريبون عليها بينما نفس هذه الأسلحة جاءتنا قبل المعركة بفترة قليلة جداً.. واستطاعت قواتنا المسلحة استيعابها تماماً وبسرعة.

وكانت أهم هذه الأسلحة الـ بى . أم . بى التى يطلقون عليها القلعة المتحركة أو عربة القتال المدرعة ولها كل خصائص الدبابة ولكن تحمل عدداً من الجنود أكبر من الدبابة. ومزودة بصواريخ مضادة للدبابات.. وقد أغدق الاتحاد السوفييتى سوريا بالسلح فى عام 1973 بعد طردى للخبراء السوفييت.. حتى أن الأسد قال لى أنه أصبح لا يوجد عنده متسع لهذا الطوفان من الأسلحة فاضطر أن يستخدم بعض المدارس أثناء الأجهزة الصيفية كمخازن للسلح.. ولو رجعنا إلى حرب أكتوبر أن معنى ذلك تأجيل الحرب إلى أجل غير مسمى.. لأن الجولان ابتداء من شهر نوفمبر وما بعده لا يصلح للعمليات العسكرية.. حتى الربيع وعندما يحل الربيع قد يتعللون بأسباب أخرى.. وهكذا.

لذلك .. عندما بلغنى موقف القادة السوريين قلت لأحمد إسماعيل أننى سوف أذهب إلى سوريا لمقابلة حافظ الأسد .. وطلبت زيارة السعودية وقطر لمدة يومين .. لسببين .. الأول أننى كنت أريد إبلاغ الملك فيصل والشيخ خليفة بأن المعركة وشيكة .. وأيضاً لأعطى أحمد إسماعيل الفرصة لإنهاء المؤتمر الذى عقد فى الإسكندرية ويرسل القادة السوريين إلى سوريا لأننى أردت أن يكون وزير الدفاع السورى فى دمشق أثناء زيارتى لها..

وقد دار بينى وبين الملك فيصل حوار طويل أثناء زيارتى له فى أواخر أغسطس 1973 ..

قلت له : سوف نحارب إسرائيل بإذن الله .. وقد أنفقت مع الرئيس حافظ الأسد على ذلك.

ورفع الرجال رأسه إلى السماء .. ودعا الله لنا بالنصر .. ثم قال: يا فخامة الرئيس .. حافظ الأسد هذا أولاً بعثى.. ثانياً علوى .. فكيف تدخل معه حرباً وتطمئن إليه...!.

وأخذت خلال ربع ساعة أطمئن الملك فيصل على حافظ الأسد ولكنه سكت على مضض ثم سألتني: ما هو الدور المطلوب منى...؟.

قلت : أنا لا أطلب شيئاً أبداً إلا أن تأخذ موقفك من معركة ستحدد مصير الأمة العربية في الأجيال المقبلة كلها..

قال: لى طلب وحيد.. إذا قمتم بحروب فلا توقفوها بعد ساعات أو أيام قليلة.. اجعلوها معركة طويلة.. فإذا طالت استطعنا أن نكون موقفاً عربياً موحداً..

لا أنسى هذه العبارة أبداً .. أنها عبارة فى منتهى الحكمة السياسية.. لأن تكوين موقف عربى يعنى أن تدخل الأمة العربية كلها المعركة .. ولن تدخل الأمة العربية كلها المعركة إلا إذا ثبت فعلاً أننا نستطيع أن نقوم بحرب طويلة مع إسرائيل بعد أن فقد العرب فى نفوسهم.

ولن يتأتى ذلك إلا بمعركة طويلة ومرور بعض الوقت..

وكان فيصل على حق فإنه لو لم تستمر المعارك لما دخل سلاح البترول إلى المعركة لأننا جميعاً نذكر أن البترول لم يدخل المعركة إلا بعد مرور عشرة أيام من بدء المعارك.. ولو كنا قد نفذنا طلب البعث العلوى بإيقاف إطلاق النار بعد 48 ساعة فقط من بداية الحرب لما تحقق أى انتصار ولما تدخل البترول فى المعركة.

وهناك أمر آخر مهم جداً .. ففى هذا الاجتماع الذى استمر أكثر من ساعة.. لم يسألنى الملك فيصل عن موعد ساعة الصفر .. وأنا هنا أرد على الذين يبررون مواقفهم بالنسبة لكامب ديفيد التى لم يقرأوها.. فيبررون موقفهم بحجة أننى لم أبلغهم...!



وعلى الرغم من طول مدة الحوار .. لم يسألنى فيصل من ساعة الصفر .. وإنما عرف من تلقاء نفسه أن ساعة الصفر تخصنى أنا والأسد فقط ولا يمكن أن أقولها -ليس لعدم ثقى فيه- ولكن لاعتبارات عسكرية.

لذلك كان الملك فيصل نوعاً ممتازاً وفريداً من القادة العرب الذين صقلتهم التجربة والزمن .. وقبل الزمن والتجربة .. الأصالة والصدق .. لأنه ماذا يفعل الزمن والتجربة فى شخص لا أصالة له ولا صدق له ولا خلق له...؟

وقد ظن بعض الناس أننى طلبت إلى الملك فيصل أن يساعدنا باستخدام البترول ولكن هذا ليس صحيحاً.

فالحقيقة والتاريخ كان كل ما قلته للملك فيصل هو أن مسئوليتى أن نحرك الموقف عسكرياً ونحارب..

أما دورك أنت فإننى أتركه لك.. فأفعل ما تشاء ما تقدر عليه..

وقلت له بالحرف الواحد : "أنت رب البيت ورب البيت أدرى بما فيه ومن فيه..."

ولم يكن الملك فيصل فى حاجة إلى أن أقول له أكثر من ذلك .. فهو رجل حكيم.. وقد أدرك كل ذلك بذكائه وفطنته وحنكته السياسية..

وكان الملك فيصل هو فارس معركة البترول فالبترول العربى هو روح الحضارة الغربية.. وكان يعلم جيداً أن فى إمكان العرب أن يقضوا على روح الحضارة الغربية.. فلذلك كان موقف الملك فيصل على رأس دول البترول وقرارهم التاريخى بحظره فى خطوة المعركة العسكرية.

وفى أعقاب حرب أكتوبر مباشرة حضر الملك فيصل لزيارة القاهرة.. وذهبنا سوريا لزيارة قناة السويس والمواقع التى دارت فيها أشرف معركة عربية..

وأصر الملك فيصل رغم اعتلال صحته- أن يعبر إلى الضفة الشرقية للقناة سيراً على الأقدام .. ولكن فرحته بالنصر أسته كل شيء .. وفوق مواقع خط بارليف التي اجتاحتها قواتنا دار حوار تاريخي مؤثر بيني وبين الملك فيصل ..

قلت له .

لقد عبرنا الآن قناة السويس على أقدامنا بعد أن وعدت فصدقت .. وتعهدت فوفيت .. وإنما لا ننسى أبداً ولا ينسى الشعب المصرى هذه المساندة فى جميع الخطوات التى حققت النصر وأعدت الكرامة والعزة للعرب .. وندعو الله أن يتم عليك الصحة حتى نتم المعركة أن شاء الله معاً .

ورد الملك فيصل قائلاً:

أن ما قامت به الملكة السعودية ما هو إلا واجب قومى لا بد أن نؤديه نحو الشقيقة مصر ونحو الأمة العربية وأن ما أراه الآن يعتبر معجزة للأمة العربية جمعاء .. ونحن فى كل وقت نقف إلى جانبكم.

وعندما رجعنا للقاهرة .. كانت سعادة الملك فيصل بهذا الانتصار واضحة على ملامحه وظاهرة فى كل تصرفاته وأقواله ..

وأنى لا أزال أتخيل هذا الرجل .. ولا تزال كلماته الهادئة تزن فى أذنى .. وقد كانت وفاته خسارة بالغة لى وللسعودية للأمة العربية كلها .. فإن الرصاصات التى أطلقت عليه تركت جرحاً لا يندمل فى جسد الأسرة السعودية والأمة العربية بأكملها .. خصوصاً وأن الجانى كان من نفس العائلة المالكة.

وفور سماعى بالنبأ الحزين .. سافرت فوراً إلى المملكة السعودية .. فإن خسارتى شخصياً لفادحة .. خسرت أحياناً عزيزاً وصديقاً كريماً .. كان أكبر عون لى فى كل المواقف .. وأعظم نصير فى الكفاح من أجل خيرنا المشترك ونصرة الأمة العربية.

والإنسان ما هو إلا موقف وحق والتزام .. فالملك فيصل كان رجلاً يعرف  
معنى الخلق ومعنى الصداقة ومعنى الكرامة ومعنى الشرف.. وإما الموقف فيه فرجل  
قلت له في حياته أنك وعدت فصدقت .. وعاهدت فوفيت .. قلت له ذلك في حياته  
وأقوله اليوم بعد مماته ... ذكراً بكل اعتزاز وبكل عرفان.. وبكل محبة .

وكان في حياته موقفاً .. وهل الإنسان... إلا موقف حق والتزام..؟.

www.anwarsadat.org